دراسة مقارنة بين مهمة النبي يونس ومسلم ابن عقيل (عليهما السلام)

م.م علي فلسطين حمزة

جامعة ذي قار / كلية العلوم

Ali_alsaadawi@sci.utq.edu.iq

الملخص

نستخلص من نتائج هذا البحث عدة امور منها ان كل مهام التي تؤكل الى اشخاص محددين يجب ان تتوافر فيهم صفات تتناسب مع نوع القوم المبعوث اليهم وان يكون عارف بطابعهم ومطلع على احوالهم على كافة الاصعدة منها الاجتماعية او الاقتصادية وغيرها وان تكون تلك المهمة محددة بنتائج معينة ومقتصرة على حد معين من اجل استحصال النتيجة المطلوبة والشيء الثاني انه ليس بالضرورة ان تكون الدعوة الى شخص معين من قبل اوام محددة لأجل اتمام بعض الامور هي مفتاح للحل كما حصل مع مسلم ابن عقيل عليه السلام حين ذهب الى اهل الكوفة بناءً على رسائل منهم لكن كانت النتيجة هي الغدر ، ونلاحظ ايضاً من خلال ما تقدم ان عملية ايكال التهم دائماً ما تكون حاضرة عند مثل تلك الاقوام والسبب في ذلك هو من اجل المحافظة على بعض المكتسبات الدنيوية الزائلة .

الكلمات المفتاحية: (الحوت، الكوفة، يونس).

A comparative study between the mission of Prophet Yunus and Muslim Ibn Aqeel, peace be upon them

Ali filastin hamza

University of Thi Qar / College of Science

Ali_alsaadawi@sci.utq.edu.iq

Abstract

We conclude from the results of this research several things, including that all tasks that are entrusted to specific people must have qualities that are appropriate for the type of people to whom they are entrusted, and that they must know their character and be familiar with their conditions at all levels, including social, economic, and others, and that this task must be specific with specific and limited results. To a certain extent in order to obtain the desired result. The second thing is that the invitation does not necessarily have to be to a specific person by specific times In order to complete some matters, it is

the key to the solution, as happened with Muslim Ibn Aqeel, peace be upon him, when he went to the people of Kufa based on letters from them, but the result was treachery. We also notice from the above that the process of laying accusations is always present among such people and the reason for This is in order to preserve some fleeting worldly gains.

Keywords: (whale, Kufa, Yunus).

المقدمة

إنَّ المتتبع لسيرة الانبياء والاولياء والصالحين يجد انهم قد ساروا في طرق غير معبدة في نشر رسالتهم الى الاقوام التي بعثوا اليها لانهم في الحقيقة قد واجهوا اقوام يحمل صفات تكاد تكون متشابهة الى حد ما الا وهي غلظة القلب وعدم تقبل التغير حتى وان كان هذا التغير نحو الافضل لهم في الدينا والاخرة وان كل من الرسل والانبياء والصالحين قد استخدموا نفس الاساليب والقصد هنا اساليب الاقناع الا وهي الحكمة والموعظة او الانذار من العذاب وغيرها كما انهم اشتركوا بصفة الصبر والتحمل لما يبدر منهم من ردات فعل تكاد تكون غير متوقعة بالنسبة للمطلع طبعاً مثل الغدر او محاولة الصاق بعض التهم او السحر او اتهامهم بالاتيان بالبدع وغيرها وطبعاً هذا الامر كان قد رافق كل من النبي يونس ومسلم ابن عقيل مع الاختلاف الزمان والمكان والصفات لكل منهما .

المبحث الاول

النبي يونس عليه السلام الرسالة والاهداف

النسب : يونس بن متّي من نسل النبي يعقوب ١ و لم ينسب أحد من الأنبياء إلى أمه إلا عيسى بن مريم ويونس بن متى ، وهي أمه ، وكان من قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى ، وكان قومه يعبدون الأصنام فبعثه الله إليهم بالنهي عن عبادتها والأمر بالتوحيد ، فأقام فيها ثلاثا وثلاثين سنة يدعوهم ، فلم يؤمن غير رجلين ، فلما أيس من إيمانهم دعا عليهم ، فقيل له : ما أسرع ما دعوت على عبادي ارجع إليهم فادعهم أربعين يوما ، فدعاهم سبعة وثلاثين يوما ، فلم يجيبوه فقال لهم إن العذاب يأتيكم إلى ثلاثة أيام ، وآية ذلك ألوانكم تتغير ، فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم ، فقالوا : قد نزل

بكم ما قال يونس ولم نجرب عليه كذبا فانظروا فإن بات فيكم فأمنوا من العذاب ، وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب يصبحكم [٢].

كانت مهمة النبي يونس عليه السلام هي هداية القوم بعد ان كانوا على ضلالة الا انهم لم يستجيبوا له على الرغم من كل المحاولات التي كانت تأتي من قبله عليه السلام الا ان عناد القوم كان هو الغالب وهنا مدار البحث هل ان النبي يونس عليه السلام كان قد بقي مصراً على هداية القوم ام ان الامر وصل الى طريق اخر .

قال وهب بن منبه(فضاق بالرسالة ذرعا ، وشكى إلى الملك الذي أتاه ضيق ذرعه ، فأعلمه أنه إن أبلغتهم الرسالة فلم يستجيبوا له عذبهم الله ، وإن لم يبلغهم أصابه ما يصيبهم من العذاب ، وإن الأجل أربعون يوما ، فأنذرهم وأعلمهم بهذا الأجل ، فقالوا له: إن رأينا أسباب العذاب أصابك ، ثم انصرفوا عنه على ذلك ، فلما مضى من الميقات خمسة وثلاثون يوما غامت السماء غيما أسود يدخن ، واسودت سطوحهم ، فأيقنوا بالعذاب ، وبرزوا من القرية بأهليهم وبهائمهم ، وفرقوا بين كل ذات ولد وولدها ، ثم تضرعوا إلى ربهم فرحمهم الله تعالى ، وقبل توبتهم، ثم إن يونس ساح فرأى راعيا في فلاة فسقاه لبنا وهو مستند إلى صخرة ، فأعلمه أنه يونس ، وأمره أن يقرأ على قومه السلام ، فقال: يا نبي الله لا أستطيع؛ لأن من كذب منا قتل . قال: فإن كذبوك فالشاة التي ، سقيتني من لبنها وعصاك و الصخرة يشهدون لك ، فأتاهم الراعي فأخبرهم فأنكروا قوله ، فأنطق الشاة والعصا والصخرة فشهدوا له فقالوا له: أنت خيرنا حين نظرت إلى نبينا فملكوه عليهم أربعين سنة) [٣].

كانت مهمة النبي يونس عليه السلام هي دعوة ايمانية بحتة تهدف لهداية الناس الى طريق الصواب وقد حققت غايتها ولو بعد حين او بعد ان مرت تلك المهمة بعدة منعطفات الا انها حققت المراد منها لكن تلك الصحوة كانت قد جاءت بعد ان شاهدوا علامات ودلائل تحتم عليهم الايمان بدعوة النبي يونس عليه السلام

إذ أن قوم يونس صحوا من غفلتهم وتابوا إلى الله فور مشاهدتهم دلائل العذاب الإلهي الذي سيحل لهم إن لم يؤمنوا، وأن الله شملهم بلطفه وأنزل عليهم بركاته المادية والمعنوية، وفي المقابل فإن نبي الله

يونس ابتلي ببعض الابتلاءات والمشاكل لأنه تعجل في ترك قومه وهجره إياهم، حتى أن القرآن المجيد أطلق عليه كلمة (أبق) والتي تعني هرب العبد من مولاه ٤ .

ان نبي الله يونس (عليه السلام) كان مثل بقية الأنبياء الكرام بدأ دعوته بالتوحيد الى الله عز وجل ومقاومة عبدة الاوثان، وبعدها محاربة العديد من الأوضاع التي تدعو الى الفساد و كانت التي كانت منتشرة في مجتمعه إلا أن القوم كانوا من اشد المتعصبين والمقلدين للأوائل من اجدادهم لذلك رفضوا الاستجابة لدعوته بكل قاطع استمر يونس (عليه السلام) بوعظ قومه بقلب حزين لأجلهم، مريدا لهم الخير وكأنه أب رحيم لهم، في حين كانوا يواجهون منطقه الحكيم بالسفسطة والمغالطة٥ .

وروى عمرو بن ميمون ، عن ابن مسعود ، قال: (كان يونس قد وعد قومه العذاب ،وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام ، ففرقوا بين كل والدة وولدها يجاورون إلى الله ، فكف الله عنهم العذاب ، فلم ير شيئا ، وكان من كذب ولم تكن له بينة قتل فأنط فقال يونس :إن فيها عبدا آبق من ربه ، وإنها لا تسير بكم حتى تلقونه ، قالوا: أما أنت يا نبي الله فلا والله لا نلقيك ، فقال: اقترعوا ، فغلب ثلاث مرات ، لق مغاضبا فركب سفينة فركدت والسفن تسير يمينا وشمالا ، فقالوا: ما لسفينتكم؟ قالوا: ما ندري فوقع فابتلعه الحوت وأهوى به إلى قرار الأرض فسمع يونس تسبيح الحصى ، فنادى في الظلمات ، ظلمة بطن الحوت وظلمة الليل ، وظلمة البحر فنبذناه بالعراء وهو سقيم كهيئة الطائر الممعوط الذي ليس عليه ريش فأنبت الله عليه شجرة من يقطين فكان يستظل تحتها ويصيب منها ، فيبس ، فبكى ، فأوحي إليه: أتبكي على شجرة أن يبست ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أن تهلكه) .٦

قال تعالى : (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)[٧] .

هنا في هذه الآية الكريمة تدل على ان النبي يونس عليه السلام قد عمل على تبليغ الناس برسالته الى ان وصل به الحال ان يغضب وهذا ما جاء في تفسير السيد الشهيد الثاني محمد صادق الصدر (قدس) في كتابة رفع الشبهات عن الأنبياء اذ قال (هذا الظاهر غير محتمل من الجاهل فضلاً عن

الفاضل ، فلا يحتمل صدوره من النبي يونس (ع) وانما تأويله : ما قاله أهل المعرفة من انه ظن انه متكامل الى درجة لا يحتاج معه الى امتحان الهي جديد ، مع انه كان بحاجة الى ذلك ، ومن هنا قهره الله سبحانه وتعالى بامتحان الحوت، ويمكن ان يكون (نقدر) يعني نقلل، فيكون المراد انه ظن ان لن يقلل الله عليه فضله .وهذا صحيح ، وإنما حبسه الله تعالى في الحوت ليس لاجل ذلك . بل لكونه ترك دعوة نبوته قبل موعدها الحقيقي وهو من ، الذنوب (الدقية) التي لا تنافي العصمة ، ومن هنا كان مغاضباً يعني (غضباناً) من عصيان قومه) [٨].

واما عن غضبه وعلى ماذا كان هذا الغضب وكيف ظن أن الله تعالى لا يقدر عليه؟ و ذلك مما لا يظنه مثله؟ وكيف اعترف بأنه من الظالمين وان الظلم يعتبر شيء قبيح أما من يونس عليه السلام فقد خرج مغاضبا لربه من حيث لم ينزل بالقوم الذي بعث اليهم العذاب، فقد خرج في الافتراء على الأنبياء عليهم السلام وسوء الظن بهم عن الحد، وليس يجوز أن يغاضب ربه إلا من كان معاديا له وجاهل بأن الحكمة في سائر أفعاله ٩.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (خرج يونس عليه السلام مغاضبا من قومه لما رأى من معاصيهم، حتى ركب مع قوم في سفينة في اليم، فعرض لهم حوت ليغرقهم، فساهموا ثلاث مرات، فقال يونس: إياي أراد، فاقذفوني، فلما اخذت السمكة يونس عليه السلام أوحى الله تعالى إليها: إني لم اجعله لك رزقا، فلا تكسري له عظما ولا تأكلي له لحماً) [١٠].

عن أبي جعفر عليه السلام قال (لبث يونس في بطن الحوت ثلاثة أيام ونادى في الظلمات ظلمة بطن الحوت وظلمة الليل وظلمة البحر ان لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين، فاستجاب الله له فأخرجه الحوت إلى الساحل ثم قذفه فألقاه بالساحل وأنبت الله عليه شجرة من يقطين وهو القرع فكان يمصه ويستظل به وبورقه وكان تساقط شعره ورق جلده وكان يونس يسبح ويذكر الله الليل والنهار فلما ان قوي واشتد بعث الله دودة فأكلت أسفل القرع فذبلت القرعة ثم يبست فشق ذلك على يونس فظل حزينا فأوحى الله إليه مالك حزينا يا يونس؟ قال يا رب هذه الشجرة التي كانت تنفعني سلطت عليها دودة فيبست، قال يا يونس أحزنت لشجرة لم تزرعها ولم تسقها ولم تعي بها ان يبست

حين استغنيت عنها ولم تحزن لأهل نينوى أكثر من مائة الف أردت ان ينزل عليهم العذاب ان أهل نينوى قد آمنوا واتقوا فارجع إليهم ...)[١١]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: (ان يونس لما آذاه قومه دعا الله عليهم فأصبحوا أول يوم ووجوههم صفرة وأصبحوا اليوم الثاني ووجوههم سود، قال: و كان الله واعدهم ان يأتيهم العذاب فأتاهم العذاب حتى نالوه برماحهم، ففرقوا بين النساء وأولادهن والبقر وأولادها ولبسوا المسوح والصوف ووضعوا الحبال في أعناقهم والرماد على رؤسهم وضجوا ضجة واحدة إلى ربهم، وقالوا آمنا بإله يونس، قال: فصرف الله عنهم العذاب إلى جبال آمد قال: وأصبح يونس وهو يظن أنهم هلكوا فوجدهم في عافية فغضب وخرج كما قال الله: (مغاضبا) حتى ركب سفينة فيها رجلان، فاضطربت السفينة فقال الملاح: يا قوم في سفينتي مطلوب، فقال يونس: أنا هو، وقام ليلقى نفسه فابصر السمكة وقد فتحت فاها فهابها، وتعلق به الرجلان، وقالا له: أنت وحدك ونحن رجلان فساهمهم فوقعت السهام عليه، فجرت السنة بان السهام إذا كانت ثلث مرات انها لا يخطى، فألقى نفسه فالتقمه الحوت فطاف به البحار سبعة حتى صار إلى البحر المسجور وبه يعذب قارون، فسمع قارون دويا فسأل الملك عن ذلك فأخبره انه يونس، وان الله قد حبسه في بطن الحوت)[١٢]

حيث ورد عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال: (مر يونس بن متى بصفائح الروحاء، وهو يقول: لبيك كشاف الكرب العظام، لبيك) [١٣] .

وفي هذا السياق يمكننا القول و الركون الى عدة جوانب رافقت دعوة النبي يونس الى هؤلاء القوم وبعدة طرق واستخدام كافة الوسائل ويبدو من سياق الآية الكريمة في سورة يونس انه عليه السلام كان قد استخدم كافة الطرق لهداية الناس يمكن اجمالها في تباعاً ،حيث كانت بداية دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة واستخدام الاسلوب الذي يتسم بالهدوء وكذلك الصبر في تبليغ الرسالة قال تعالى { يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ٥٧ }[١٤]وطبعاً هذا هو الامر المتبع مع كل الانبياء والرسل عليهم السلام ثم لجأ بعدها الى الانذار من العقاب الالهي قال تعالى { وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ}[١٥].

او حتى الابتعاد عن هؤلاء القوم كوسيلة احتجاج قوية ضدهم لعدم الاستجابة اليه قال تعالى { قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ }[١٦] قال تعالى { فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ١٤٢ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ١٤٤ ۞فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ١٤٥ }[١٧] وفي تفسير هذه الآية (وأمر الله تعالى حوتاً من البحر الأخضر أن يشق البحار وأن يلتقم يونس عليه السلام فلا يهشم له لحما ولا يكسر له عظما فجاء ذلك الحوت وألقى يونس عليه السلام نفسه فالتقمه الحوت وذهب به فطاف به البحار كلها. ولما استقر يونس في بطن الحوت حسب أنه قد مات ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه فإذا هو حي فقام فصلى في بطن الحوت وكان من جملة دعائه يا رب اتخذت لك مسجدا في موضع لم يبلغه أحد من الناس واختلفوا في مقدار ما لبث في بطن الحوت فقيل ثلاثة أيام قاله قتادة وقيل سبعة قاله جعفر الصادق رضي الله عنه وقيل أربعين يوما قاله أبو مالك وقال مجاهد عن الشعبي التقمه ضحى ولفظه عشية والله تعالى أعلم بمقدار ذلك)[١٨]

المبحث الثاني

مسلم ابن عقيل سفير الأمام الحسين عليه السلام

النَسب : ولد أبو طالب عقيلاً وجعفراً وعلياً وطالبا وأم هانئ واسمها فاختة وجمانة وأمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وأمها حبى بنت هرم ابن رواحة من قريش من بنى عامر بن لؤي وأسلمت أمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي فأما عقيل فكان يكنى أبا يزيد وأسر يوم بدر ففداه العباس بأربعة آلاف درهم فيما يذكر أبو اليقظان وورث عقيل وطالب أبا طالب ولم يرثه على ولا جعفر لأنهما كانا مسلمين وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين وجعفر أسن من علي بعشر سنين ، وولد عقيل مسلما وعبد الله ومحمدا ورملة وعبيد الله لأم ولد وقال بعضهم كانت أم مسلم بن عقيل نبطية من آل فرزندا وعبد الرحمن وحمزة وعليا وجعفرا وعثمان وزينب وأسماء وأم هانئ لأمهات أولاد شتى ويزيد وسعدا وجعفرا الأكبر وأبا سعيد فأما أسماء فتزوجها عمر بن علي بن أبي طالب وخرج ولد عقيل مع الحسين بن علي بن أبي طالب فقتل منهم تسعة نفر وكان مسلم بن عقيل أشجعهم وكان على مقدمة الحسين فقتله عبيد الله ابن زياد .[١٩]

قام الامام الحسين عليه السلام بأرسال اخيه وابن عمه مسلم ابن عقيل رضوان الله عليه الى الكوفة من اجل معرفة مدى استعداد اهل الكوفة لمبايعته [٢٠] ، حيث ووردت كتب كثيره من اهل العراق يدعون الامام الحسين عليه السلام اليهم وذلك حينما بلغهم هلاك معاوية وولاية يزيد ويذكر ان مسلم ابن عقيل نزل في دار مسلم ابن عوسجه وقيل في دار المختار بن ابي عبيد الثقفي ٢١ فبايعه الكثير من الناس فعمل يزيد ابن معاوية على جمع العراق لعبيد الله بن زياد فخرج باهل العراق من اجل قتل مسلم بن عقيل[٢٢] ويمكن ذكر جمله من الاسباب التي دعت الامام الحسين عليه السلام الى اختيار مسلم ابن عقيل عليه السلام ليكون سفيرا او رسولا له منها مؤهلاته لانه رجلٌ يحمل هموم تقرير المصير، و لديه الكفاءة وكان مواكباً لمسارات الوقائع ومجريات الأحداث، و كذلك نكبات الأمة، عارفا بالحكم القائم، والمنهج السياسي الذي ينتهجه، مشاركا الإمام في أهم آراء لعلاج الأزمة الراهنة، ملماً بمنهج الإمام الحسين (عليه السلام) في القضايا المهمّة والسبب الاخر هو علمه بالتركيبة السكانية والتي تعد معقّدة في الكوفة، لأنها كانت خليطاً من القوميات، فقد سكنها (الفرس، والنبط، واليهود، والسريان، والعرب، والأتراك، والأكراد، والروم) الذين كانوا يشكّلون النسبة الثّانية من حيث العدد بعد الفرس وكذلك وجود اصحاب الديانات (اليهود و النصارى و المجوس و الفرس و الأنباط) وكان مسلم عارفا بهذه التركيبة السكانية وكذلك تعد الكوفة هي العاصمة الثانية بعد الشام كل تلك الامور جعلت من مسلم ابن عقيل مرشحا ليكون سفيرا للأمام الحسين عليه السلام [٢٣] .

وكذلك من الاسباب حين ارسل الامام الحسين (عليه السلام) مسلم بن عقيل الى الكوفة كتب معه كتابا يعرفه فيه لاهلها ويصفه بأنه "(اخي وابن عمي وثقتي من اهل بيتي والمفضل عندي) ".. فهذه عدة صفات .

اما كونه ابن عمه فهو تعبير عن قرابته فعلا لان عليا وعقيل سلام الله عليهما اخوان شقيقان وهم أبوا الحسين ومسلم واما كونه اخاه فهي على ما اعتقد اهم هذه الصفات على الاطلاق لأنه بعد ان لم يكن اخا شقيقا حقيقتا ولا غير شقيق فلا بد من حمله على احد معمين اما المعنى المجازي او المعنى المعنوي ولاتنافي بينهما .[٢٤]

يذكر ان مسلم ابن عقيل عليه السلام قد خرج في اربعمائة شخص وقد قتلوا جمعيهم فزاد عليهم اصحاب عبيد الله وعندما حل الليل ذهب مسلم الى دار امراءه من كنده فطلب اللجوء اليها لكن محمد ابن الاشعث قد دل عليه فجاء به الى عبيد الله حيث امر بقتله [٢٥]

حيث امر ابن زياد بان يأخذوا مسلم ابن عقيل فوق القصر ليضربوا عنقه حيث قال(ادعوا الذي ضربه ابن عقيل على رأسه وعاتقه بالسيف فجاءه فقال. اصعد وكن أنت الذي تضرب عنقه، وهو بكير بن حمران الأحمري – لعنه الله– فصعدوا به وهو يستغفر الله ويصلي على النبي محمد صلى الله عليه وآلة وعلى أنبيائه ورسله وملائكته وهو يقول :اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكادونا وخذلونا) [٢٦]

اختار مسلم ابن عقيل بعد دخوله الى الكوفة الأشخاص الذين يمكن الاعتماد عليهم بعناية فائقة ومن هؤلاء ، هانئ بن عروة المرادي وأتى الى داره فدخل بابه واستدعى هانئا فخرج إليه لما رآه كره مكانه فقال له مسلم أتيتك لتجيرني وتضيفني فقال له هانئ لقد كلفتني شططا، ولولا دخولك داري لأحببت أن تنصرف عني غير أنه يأخذني من ذلك ذمام ادخل فآواه فاختلفت الشيعة إليه في دار هانئ ودعا ابن زياد مولى له وأعطاه ثلاثة آلاف درهم وقال له اطلب مسلم بن عقيل وأصحابه وألفهم وأعطهم هذا المال وأعلمهم أنك منهم واعلم أخبارهم ففعل ذلك وأتى مسلم بن عوسجة الأسدي بالمسجد فسمع الناس يقولون هذا يبايع للحسين وهو يصلى فلما فرغ من صلاته قال له يا بعد الله إني امرؤ من أهل الشام أنعم الله على بحب أهل هذا البيت وهذه ثلاثة آلاف درهم أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سمعت نفرا يقولون أنك تعلم أمر هذا البيت وإني أتيتك لتقبض المال وتدخلني على صاحبك أبايعه وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقائي إياه[٢٧] .

ولعل هناك عدد من الاسباب والمحددات التي جعلت من مسلم ابن عقيل يلجأ الى مثل تلك الشخصيات المهمة بالتحديد ،حيث كان شديد التشيع، ومن أشراف الكوفة وقراءها، وشيخ مراد وزعيمها، يركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، فإذا تلاها أحلافها من كندة ركب في ثلاثين

ألفاً، وكان من خواص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حضر حروبه الثلاثة، أدرك النبي ، وتشرف بصحبته. وكان له يوم قتله بضع وتسعون سنة.

وليس عشوائياً أن يختار مسلم أمثال هؤلاء لأنهم الأخلص والأقوى والأشهر، والإستناد إليهم قوة في وقت الحاجة، كما أن استنادهم إليه قوة له، لا أقل إثباتاً، أي أمام المجتمع والناس. مضافاً إلى جهة أخرى، وهي أن كل هذه الأمور تحتاج إلى تمويل لا يقوم بها مضيف فقير وإن كان مؤمناً. وواضح أن مسلم بن عقيل لم يحمل معه من الحجاز لا زاداً ولا راحلة ولا مال، وإنما وصل في غاية الصعوبة إلى العراق. فيحتاج إلى من يموله في مهمته وحركته. فكان له المختار وهاني وغيرهما خير عون في ذلك، هذا ومسلم بن عقيل لم يكن رأى الكوفة قبل ذلك. ولكنه حين دخلها لأول مرة لم يكن يتلدد في شوارعها كما تلدد فيها بعد أن تركه الناس. وإنما الذي حصل أنه كان يعرف سماعاً عن أناس معينين بما فيهم المختار الثقفي، فهو يسأل عن داره ويقصده، وهذا يكفي، ونلاحظ أن الحسين ترك الإشارة له إلى ذلك، وأنه ينزل في أي بيت، وذلك لعدة مبررات يمكن أن تكون مجتمعة[٢٨].

أولاً: الاعتماد على خبرة مسلم الشخصية وهي كافية جداً في ذلك.

ثانياً: إنه يتعمد أن لا يذكر أسم شخص معين لكي لا تكون هناك نتائج محمودة أو غير محمودة بالنسبة إليه.

فمثلاً حين دخل النبي المدينة لأول مرة لم يذكر اسم أحد، وإنما حين دعي إلى البيوت ذكر أن ناقته مأمورة، فبركت إلى جنب بيت أبي أيوب الأنصاري، والذي كان فقيراً لا يطيق شيئاً من المسؤوليات. فقد كان إخفاء إسمه متعمداً كما أن اختياره فقيراً متعمداً لإظهار المعجزة في تيسير الأمور.

فتقول الرواية بما مضمونه: إن النبي قال آتني بفخذ شاة ورغيف خبز. وبذلك أكل الناس كلهم ولربما لعدة أيام .

فلو صرَّح النبي بأنه سوف ينزل عند فلان لكان ذلك خلاف المصلحة، فلعل الآخرين يعتبون، فبدلاً من المفاسد حصلت مصالح كثيرة.

وأما في الكوفة فاختياره غنياً وقوياً متعمد أيضاً. وفي كلا الحالين فدرجة من الإخلاص متعمدة ومخطط لها أيضاً، لوضوح أنه لو نزل عند شخص غير مخلص لما استطاع التحرك على ما يرام. سواء قصدنا بذلك النبي أو مسلم بن عقيل .

ثالثاً: إن المضنون أنهما _أعني الحسين و مسلم _ إتفقا على العنوان الذي يسير فيه في الكوفة ويقصده، أعني دار المختار الثقفي. إلا أن أحداً منهما لم يصرح بشيء حفظاً للمصلحة العامة.

قالوا ووافت الشيعة مسلماً في دار المختار بالترحيب، وأظهروا له من الطاعة والإنقياد ما زاد في سروره وابتهاجه. فعندما قرأ عليهم كتاب الحسين، قام عابس بن شبيب الشاكري (وهو ممن قتل مع الحسين في الطف) وقال: إنني لا أخبرك عن الناس ولا أعلم ما في نفوسهم ولا أغرك بهم، والله إني أحدثك عما أنا موطن عليه نفسي. والله لأجيبنكم إذا دعوتم، ولأقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله، ولا أريد بذلك إلا ما عند الله. وقال حبيب بن مظاهر [وهو ممن قتل في الطف أيضاً]: قد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك، وأنا والله الذي لا إله الا هو على مثل ما أنت عليه. وقال سعيد بن عبد الله الحنفي مثل قولهما.

وأقبلت الشيعة يبايعونه حتى أحصى ديوانه ثمانية عشر ألفاً. وقيل بلغ خمسة وعشرين ألفاً. وفي حديث الشعبي بلغ من بايعه أربعون ألفاً. فكتب مسلم بن عقيل مع عابس بن شبيب الشاكري يخبره باجتماع أهل الكوفة على طاعته وانتظارهم لقدومه. وفيه يقول: الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجِّل الإقبال حين يأتيك كتابي.

وكان ذلك قبل مقتل مسلم بن عقيل بسبع وعشرين ليلة، وانضم إليه كتاب أهل الكوفة وفيه: عجِّل القدوم يا بن رسول الله فإن لك في الكوفة مائة ألف سيف فلا تتأخر[٢٩].

المبحث الثالث

نتائج مهمة النبي يونس ومسلم ابن عقيل (عليهما السلام)

مقارنة بين المهمتين حسب ما ورد في كتاب شذرات من فلسفة تاريخ الحسين (عليه السلام) للشهيد الثاني محمد الصدر (قدس) وحسب قوله (فكلاهما أرادا الإنسحاب عن ساحة المعركة وعوقب على انهزامه. ولكن موقف مسلم بن عقيل أفضل حالاً من موقف يونس فعند المقارنة نجد في موقف مسلم بن عقيل نقطة ضعف ونقطة قوة. أما نقطة الضعف: فإن يونس صبر حتى حصل له اليأس من هداية قومه. وقد حصل له اليأس بعد عدة سنين قضاها بينهم. وأما مسلم بن عقيل فقد أراد الانسحاب والاستعفاء قبل أن يواجه قومه أما نقطة القوة في موقف مسلم بن عقيل ، فإن عقوبة يونس كانت أن يبتلعه الحوت. ولكن مسلم بن عقيل لم تعجل له العقوبة. وكان حوته من بعد ذلك هو عبيد الله بن زياد. لأنه مسيطر دنيوياً كسيطرة الحوت ، ويونس إنما دخل في البلاء الدنيوي رغماً عليه. ولكن مسلم دخل بإختياره فإنه أُمر بالدخول فدخل وهذا يكون مصداق للرواية علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل) [٣٠].

وهناك عدة امور مشتركة بين تلك الشخصيتين يمكن المقارنة بينهما من حيث عدة مشتركات وهي على عدة محاور منها ان كلا الشخصين قد دخلوا في مواجهة مباشرة مع تلك الاقوام مع اختلاف الزمان والمكان حيث واجه النبي يونس عليه السلام القوم بصورة مباشرة كما اسلفنا وكذلك مسلم ابن عقيل واجه القوم الذين بعث اليهم من قبل الامام الحسين ايضاً بشكل مباشر الا ان الفراق بين الامرين جوهري وهو ان مسلم ابن عقيل ذهب الى الكوفة بعد ورود رسائل اطمئنان الا انه قد واجه الغدر من قبلهم . وقد قال مسلم ابن عقيل عند ذهابه سفيرا من الامام الحسين عليه السلام الى اهل الكوفة في احدى المرات (اما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في ايدكم واتى ببلغة فجمل عليها ثم داورا حوله واخذوا سيفه من عنقه وهو عند هذا الامر قد كان ايس من نفسه فدمعت عيونه ثم قال (هذا اول الغدر) قال محمد بن الأشعث :أرجو الا (لا) يكون عليك بأس، قال: ما هو الا الرجاء أين أمانكم؟ انا لله وانا إليه راجعون وبكى. فقال له عمرو بن عبيد الله بن عباس: ان من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك قال: اني والله ما لنفسي أبكي ولا لها من القتل أرثي وان كنت لم أحب لها طرفة عين تلفا ولكن أبكي لأهلي المقبلين إلى، أبكي لحسين وآل حسين، ثم اقبل على محمد

بن الأشعث فقال: يا عبد الله اني أراك والله ستعجز عن أماني فهل عندك خير تستطيع ان تبعث من عندك رجلا على لساني يبلغ حسينا فاني لا أراه الا قد خرج إليكم اليوم مقبلا أو هو خرج غدا هو وأهل بيته وان ما ترى من جزعي لذلك) [٣١] ويمكن معاينة بعض النتائج من دعوة النبي يونس عليه السلام من خلال تفاسير القران الكريم وهي تفسير قوله تعالى { فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ٩٨}[٣٢]ومعنى الكلام هنا (فما كانت قرية آمنت عند معاينتها العذاب ، ونزول سَخَط الله بها ، بعصيانها ربها واستحقاقها عقابه، فنفعها إيمانها ذلك في ذلك الوقت، كما لم ينفع فرعون إيمانه حين أدركه الغرق بعد تماديه في غيّه، واستحقاقه سَخَط الله بمعصيته ، إلا قوم يونس، فإنهم نفعهم إيمانهم بعد نزول العقوبة وحلول السخط بهم) [٣٣] والخلاصة هنا ان في تفسير هه الآية ان هذا الايمان جاء بعد ان تم انذراهم من قبل النبي يونس عليه السلام بضرورة الايمان

وتأسياً على ما تقدم يمكن التوصل الى بعض المشتركات بين تلك الشخصيتين العظمتين تجاه تلك الاحداث منها :-

١- إنَّ مهمة الانبياء والرسل تشبه الى حد كبير مهام المبعوثين من بعض الاوصياء والثقات الذين بعثوا الى نوع معين من الناس لإنجاز مهمة معينة كما حصل مع مسلم ابن عقيل حين بُعث من قبل الامام الحسين عليه السلام الى اهل الكوفة .

٢- هناك وجه شبة كبير بين كل من النبي يونس عليه السلام وما حصل له وبين مسلم ابن عقيل عليه السلام من قبل اقوام تحمل صفة غلاظة القلب ومحاولتهم منع كل منهما عن اداء رسالتهم بكافة الطرق.

٣- إنَّ الملاحظ من تلك الامور الخاصة بهداية الناس دائماً ما يشاهد من ردة فعل قوية تجاه الشخص المبلغ لعدة اعتبارات منها عدم التفريط في بعض المكاسب الدنيوية وبعض الامتيازات الممنوحة لهم من السلطات او لغرض المكانة الاجتماعية الزائفة لذلك تحصل ردة فعل قوية تجاه أي تغير يحصل .

٤- استخدام مسلم ابن عقيل هداية الناس عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة والصبر في المعاملة معهم على الرغم من قوة المعاملة التي تلقاءها عليه السلام .

٥- إنَّ النهايات في مثل تلك الحالات دائماً ما تكون انتصاراً للحق على الرغم من التضحيات المقدمة في سبيل اعلاء كلمة الحق وهذا ثبات على مر التاريخ مع كل الانبياء والرسل حتى وان كانت تلك النهايات تبدو ظاهرة للعيان انها غير مكتملة بسبب قصر النظر لدى البعض الا المتتبع لقصة النبي يونس ومسلم ابن عقيل والتي هي مدار البحث ان كل منها انتهى بتحقيق ما هو مطلوب وان كانت نهاية النبي يونس في بطن الحوت الا ان قومه قد امنوا في نهاية المطاف ونهاية مسلم ابن عقيل كانت القتل والشهادة الا انها كشفت غدر هؤلاء الرجال وكشف زيفهم .

٦- إنَّ كلا المهمتين عند النبي يونس عليه السلام ومسلم ابن عقيل عليهما السلام قد جرى تنفيذها في جغرافية واحد الا وهي العراق وتحديداً في مدينتي نينوى والكوفة أي ان هناك تشابه في صفات تلك الاقوام وان اختلفت الازمنة .

الهوامش

[١] ابن سعد، الطبقات الكبرى،ج١، ص٤٧.

[٢] ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ، ج ١ - ص ٣٦٠

٣ ابن الجوزي ، المنتظم في التاريخ ،ج١ ،٣٩٦ .

٤ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،ج١٤،ص٤٠٣

٥ المصدر نفسه ،ص٤٠٤

٦ المصدر نفسه .

٧ سورة الانبياء : الاية ٨٩

٨ الصدر ،رفع الشبهات عن الانبياء ،ص٦٣ .

[٩] الشريف المرتضى ، تنزيه الأنبياء ،ص ١٤٢

[١٠] الراوندي ، قصص الأنبياء ، ص ٢٥٢

[١١] القمي ، تفسير القمي ، علي بن إبراهيم ، ج ١ ، ص ٣٢٠

[١٢]العياشي، محمد بن مسعود ،تفسير العياشي ، ج ٢ ، ص ١٣٦

[١٣] الصدوق ، علل الشرائع ج،٢،ص٤١٩

[١٤] سورة يونس الاية

[١٥] سورة يونس الاية

[١٦] سورة يونس ، الآية ١٦ .

[١٧] سورة الصافات ،الآية ١٤٢

[١٨] ابن كثير ،تفسير ابن كثير ،ج ٤ ،ص٢٣

١٩ ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٠٤

٢٠ ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ / ص ٤٧٩

٢١ ابن خياط ، تاريخ خليفه،/ ص ٢٣١

٢٢ ابن خياط :المصدر نفسه/ ص٢٣١

٢٣ الشمري ، حسن: مكتبة العتبة الحسينية ، http://imamhussain-lib.blogspot.com

[٢٤] الصدر ، ضواء على ثورة الحسين (عليه السلام) ص ١٩٧

[٢٥] الذهبي ،تاريخ الاسلام، ج٤ ، ص١٧١

٢٦ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، / ص٦٧

[٢٧] ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،ج ٤ ، ص ٢٥

[٢٨] الصدر ،شذرات من فلسفة تاريخ الحسين (ع) ص ٢٨٦

[٢٩] المصدر نفسة ،ص٢٨٧ .

[٣٠] الصدر ،شذرات من فلسفة تاريخ الحسين (ع) ص ١٨٣

[٣١] مقتل الحسين (ع) - أبو مخنف الأزدي - الصفحة ٥٠

[٣٢] سورة يونس ، الاية ٩٨

[٣٣] الطبري ،تفسير الطبري ج١٥، ص٢٠٥

المصادر والمراجع

- القران الكريم

١. ابن سعد ، الطبقات الكبرى ج١ ، السيرة الشريفة النبوية ، دار صادر بيروت

٢. ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ، ج١، دار صادر للطباعة والنشر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٥ هـ _ ١٩٦٥ م

٣. الشيرازي ، ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٤ .

٤. الصدر ، محمد صادق الصدر ، رفع الشبهات عن الانبياء ،دار مكتبة البصائر ، بيروت ، لبنان ،٢٠١٠ .

٥. الشريف المرتضى ،تنزيه الأنبياء ، أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي ، المتوفى سنة ٤٣٦ هـ " دار الأضواء .

٦. الراوندي ، قطب الدين سعيد بن هبة الله، قصص الأنبياء ، ت ٥٧٣، ط ١ ، ايران .

٧. القمي، تفسير القمي ، ابي الحسن علي بن إبراهيم القمي المصحح، السيد طيب الجزائري ،الناشر: مؤسسة دار الكتاب ط٣ ، للطباعة والنشر قم / إيران .

٨. العياشي ، تفسير العياشي، أبي النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي ،ج٢ ، المكتبة العلمية الاسلامية طهران -سوق الشيرازي .

٩. الصدوق ، علل الشرائع ،أبي جعفر محمد بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ،ج٢ ،ت٣٨١هـ ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف ١٩٦٦- ١٣٨٦ م .

١٠. ابن كثير ، تفسير ابن كثير ،عماد الدين ابي الفداء ،اسماعيل ،ت ٧٤٤هـ ، تحقيق :تقديم : يوسف عبد الرحمن المرعشلي ،ط ١٩٩٢ .

١١. بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري ، تاريخ خليفة ، ت ٢٤٠هـ ، تحقيق :الدكتور سهيل زكار .

١٢. الصدر ، محمد صادق الصدر ، اضواء على ثورة الامام الحسين ،دار مكتبة البصائر ، بيروت ، لبنان ،٢٠١٠ .

١٣. الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، تاريخ الإسلام،ج٤، تحقيق :د. عمر عبد السلام تدمرى،ط١، ١٩٨٧ .

١٤. الأصفهانى ، أبو الفرج ، مقاتل الطالبيين، مصادر الحديث الشيعية ـ القسم العام ، ط ٢ ، ١٩٦٥ م ،تحقيق : كاظم المظفر

ابن الاثير ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، الكامل في التاريخ ،ج٤، دار صادر للطباعة والنشر دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٥هـ _ ١٩٦٥ م .

١٥. ابو مخنف ، لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي الغامدي ، مقتل الحسين (ع) ،ت ١٥٧هـ، المطبعة : العلمية - قم .

الطبري ،ابي جعفر محمد بن جرير ، تفسير الطبري ،ج١٥،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن ،التركي ،ج١٥،ط١ ، ٢٠٠١، مركز البحوث والدراسات الاسلامية دار هجر .